بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

السبت ٢٨ ربيع الأول ١٤٤٢ هـ / ١٤ تشرين الثاني ٢٠٢٠ م العدد ٢٠٧

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوى وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك:٢)
مقوّمات إحسان العمل

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ سورة الأحزاب:٢١
دعوة الى التأسي برسول الله (ﷺ)

الاسوة بمعنى القدوة الذي يُتّبَع في الأقوال والأفعال والصفات الشخصية، فالأسوة لك هو من لك به اقتداء والأسوة من الاتساء كالقدوة من الاقتداء فهو اسم وضع موضع المصدر على وزن فعله كاللُّقمة والأُكلة حيث تقال لما يُفعل به فالأسوة ما يؤتسى به وأصلها (أسو) بمعنى المداواة والاصلاح لذا يوصف الطبيب بأنه (أسي)، ويصلح به من الأفعال والصفات.

والآية وإن كانت بصيغة الأخبار الا انها تتضمن الدعوة والالزام بالتأسي برسول الله (ﷺ) في أقواله وأفعاله وغاياته وأهدافه وصفاته وملكاته لأن الانسان لابد له من أسوة وقدوة ليتعلم منه ويأخذ عنه، قال أمير المؤمنين (ع) (الا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه)(١) فعليه أن يتحقق من كون الأسوة حسنة صالحة ليتبعها قال رسول الله (ﷺ) (إن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم)(٢). وتضيف الآية بأنه لا يستجيب لهذه الدعوة ولا ينتفع بها الا من وثق بالله تعالى وبما عنده من الثواب الجزيل وخاف الآخرة وحرص على جلب الخير والسعادة والكمال والفوز في الآخرة لنفسه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن الطبيعي أن يختار الله تعالى لنا رسوله الكريم (ﷺ) ليكون الأسوة الحسنة لنا لأنه أكمل الخلق وأرقى نماذج الإنسانية وقد اجتمعت فيه كل صفات الكمال، وكيف لا يكون كذلك وقد تولى الله تعالى صنعه وتربيته وتأديبه بحسب الحديث الشريف (أدبني ربي فأحسن تأديبي)(٣)، ومن بعده الائمة المعصومون (ع) من اهل بيته، قال (ﷺ) (من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها الله فليوال عليا من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما)(٤)، وعنه (ﷺ) قال في بيان منزلة الائمة (ع) (هم أبواب العلم في امتي، من تبعهم نجا من النار، ومن اقتدى بهم هدي الى صراط مستقيم، لم يهب الله عز وجل محبتهم لعبد الا ادخله الجنة)(٥).

وبذلك يكون اتخاذ رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة طريقاً لتطبيق الآية ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] فقد صنعه الله تعالى ليكون وسيلة تحقيق هذا الغرض فهو كتاب الله الناطق، وروي عن احدى أزواجه انها سئلت عن أوصافه فاختصرت الجواب قائلة (كان خلقه القرآن)(٦).

فالتأسي به (ﷺ) اتباع للقرآن الكريم، قال (ﷺ) (الا واني تارك فيكم الثقلين: احدهما كتاب الله عز وجل، هو الحبل الى الله، ومن تبعه كان على هدى، ومن تركه كان على الضلالة) فاصل ما يُتأسى به القرآن الكريم وسنة رسول الله (ﷺ) فهما صنوان لا يفترقان(٧).

وكما ان القرآن شفاء وهدى ورحمة ونور وبيان وذكر ومبارك وحكيم ونحو ذلك مما ذكره القرآن الكريم فان رسول الله (ﷺ) كذلك، وان القرآن وصف نفسه بأن فيه ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] و ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فكذلك رسول الله (ﷺ) سفر واسع يجد فيه التواقون الى الكمال وطالبو السعادة والفلاح والنجاة كل ما يريدون.

أن التأسي يعني جعل حياة الأسوة الحسنة معياراً وميزاناً لسلوك المتأسي وصفاته ويجعلها فرقاناً في حياته يميز به بين ما يصح فعله وما لا يصح، ويسعى المتأسي الى ان يكون مثالاً ونسخة من الاسوة.

وصوّر امير المؤمنين (ع) اكمل صور التأسي برسول الله (ﷺ) قال (ع) (وقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به)(٨).

إن تقديم النبي (ﷺ) كأسوة حسنة يتطلب دراسة سيرته المباركة وتحليلها وعدم الاكتفاء بالسرد التاريخي والروائي لتشخيص جوانب التأسي سواء على صعيد حياته الشخصية وملكاته وصفاته الذاتية أو على صعيد منهجه في سياسة الأمة ورعاية شؤونها وقد قمتُ بمحاولة في هذا المجال وطبعت في كتاب (الأسوة الحسنة).

وبالعودة إلى الآية الكريمة محل البحث نقول انها وقعت في سياق الحديث عن معركة الأحزاب وما رافقها من أهوال وكوارث ومخاوف حتى قال تعالى ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١] لكن اقتحام النبي (ﷺ) بنفسه الشريفة ميدان العمل فيضرب بالمعول هناك ليحفر الخندق، ويحمل التراب هناك، ويشارك المجاهدين في اهازيجهم واشعارهم الحماسية، رفع من الروح المعنوية لهم وسكب عليهم الطمأنينة حتى أنه (ﷺ) كان أحياناً يلاطفهم ويرطب الأجواء فهو (ﷺ) أسوة في شجاعته(٩) وثباته وتواضعه وصدقه وتسليمه وعمله الدؤوب وحسن تخطيطه وتفانيه في سبيل الحق وغير ذلك مما افرزته سيرته المباركة والصبر على ذلك كله، روي عن أمير المؤمنين (ع) قوله (ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول الله عز وجل لنبيه (ﷺ) ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وإيجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾)(١٠).

ولا يصح حصر مفاد الآية في تلك الأحداث بل هي دعوة عامة (لكم) أي لجميع البشرية أن تتأسى بالنبي (ﷺ) قال امير المؤمنين (ع) (اقتدوا بهدي نبيكم فإنه افضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها اهدى السنن)(١١)، و(كان) هنا ليست كان الناقصة التي تعني ثبوت الوصف في زمان وارتفاعه في زمان آخر، بل هي كان التامة التي تفيد الثبات لأنه من شأنه ذلك وقد سبقتها (اللام) و (قد) لتفيد التحقق والتأكيد.

قال امير المؤمنين (ع) (فتأسّ بنبيك الأطيب الأطهر، (ﷺ)، فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى. وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره).
(قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً. أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه، وحقر شيئاً فحقره، وصغر شيئاً فصغره.
ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقا لله تعالى ومحادة عن أمر الله تعالى)(١٢).

وروى في مجمع البيان قال ثعلبة بن حاطب وكان رجلاً من الأنصار للنبي (ﷺ) (ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، اما لك في رسول الله أسوة حسنة، والذي نفسي بيده لو اردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت)(١٣)، فلم يتأسَّ بنبيه (ﷺ) وآل أمره إلى الخسران وروي أنه المقصود بقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]

ولا شك في عدم قدرة أحد على الوصول إلى منزلة رسول الله (ﷺ) لكننا مطالبون ببذل الوسع في تحقيق الحالة قال أمير المؤمنين (ع) (الا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)(١٤) وكلما حالة التأسي ارتقت منزلة المتأسي، قال رسول الله (ﷺ) ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨]

إن التأسي به (ﷺ) لا يقتصر على حياته الشخصية فنستفيد منها في حياتنا كافراد بل على القادة أن يتاسوا به كأعظم قائد ومصلح عرفته البشرية واستطاع تأسيس خير أمة أخرجت للناس، وإن في سلوكه مع أصحابه

التتمة في الصفحة الثانية

في معركة الأحزاب درساً لكل المصلحين والقادة والزعماء والمسؤولين، وهكذا على الآباء أن يتأسوا به كأب والأزواج كزوج والأصدقاء كصديق والمربين كمربي والسائرين الى الكمال كأفضل خلق الله تعالى، فهو (ﷺ) طبيب آسي حقاً كما وصفه أمير المؤمنين (ع) (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ)(١٥).

لقد ورد لفظ الأسوة الحسنة في القرآن الكريم في موضع آخر، قال تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا﴾ [الممتحنة: ٤] وقال تعالى بعدها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦] لكنها دعوة للتأسي بموقف محدد ذكرته الآية، اما الأسوة المحمدية فهي مطلقة في كل شيء، ولذا استدل بعضهم بالآية على عصمة النبي (ﷺ) لأن الله تعالى لا يدعو الى التأسي والاقتداء بأحد في كل شيء الا اذا كان معصوماً من الخطأ والزلل، وتدل بالتبع على عصمة أئمة اهل البيت (ع) لان النبي (ﷺ) امر باتباعهم والاقتداء بهم كما في الاحاديث المتقدمة.

ولا يخفى ما في الآية من تعريض بكثير من المسلمين الذين كانوا جزءاً من المجتمع الإسلامي المتلبس بحياة رسول الله (ﷺ) الا أنهم لم يحسنوا التأسي برسول الله (ﷺ) وخالفوه عن علم وعمد والشواهد كثيرة من سيرة الصحابة في حياته (ﷺ) وبعدها كصلاة التراويح التي أقاموها رغم نهي النبي (ﷺ) عن صلاة الجماعة في المستحبات، وتحريم المتعة رغم إقرارهم بترخيص النبي (ﷺ) فيها، والفرار من المعارك وترك النبي (ﷺ) محاطاً بالأعداء، والانقلاب على الاعقاب في حياته وعند وفاته (ﷺ)، واقصاء أمير المؤمنين (ع) من بعده رغم أخذه (ﷺ) البيعة منهم على ولايته بعده وظلم أهل بيته (ع) وغيرها.

ان وجود الأسوة الحسنة على الأرض من أعظم وسائل الاقناع برسالة الإسلام، وان كثيراً من الناس دخلوا الإسلام من دون ان يقرأوا أو يسمعوا عنه شيئاً لكنهم رأوا سيرة الأسوة الحسنة وهو النبي (ﷺ) والأئمة المعصومين (ع) من أهل بيته فاقتنعوا بأحقية ما يدعون إليه.

وان تأثير رسول الله (ﷺ) في أصحابه مما شهد به اعداؤه حتى تملكهم الرعب وملأهم يأساً واحباطاً، ولنأخذ شاهداً على ذلك قول زعيم ثقيف عروة بن مسعود الثقفي لما أرسلته قريش ليستطلع خبر رسول الله (ﷺ) عندما نزل الحديبية هل يريد زيارة البيت الحرام أم قتالهم، روى ابن هشام قال (فقام من عند رسول الله (ﷺ) وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق الا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه، فرجع الى قريش فقال: يا معشر قريش: اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم)(١٦).

وهذا يبرز أهمية وجود الأسوة الحسنة في حياة الأمة، لعدم إمكان التفكيك بين الرسالة وحاملها وقد عبّر أمير المؤمنين (ع) عن هذه الملازمة بقوله (ع) (إني والله ما أحثكم على طاعة الا وأسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية الا وأتناهى قبلكم عنها)(١٧) فعلى من يتصدى لشأن من شؤون الناس يجعله في مقام الاسوة والقدوة ان يؤهل نفسه أولاً لهذا المقام، روي عن امير المؤمنين (ع) قال (من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه)(١٨).

ولذا قالوا: ان الواعظ إذا لم يكن متعظاً فلا يؤثر في القلوب ولا يهذب النفوس، ومن وصايا الامام الحسن العسكري (ع) لشيعته (اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح)(١٩) الا يجرون المودة إلى أئمتهم (ع) الا عندما يعكسون صورة الأسوة الحسنة في حياتهم وقد بيّن الامام (ع) ذلك في نفس الوصية فقال (ع) (فإن الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك).

وفي ضوء هذه الملازمة نفهم خطورة وجود القدوة السيئة والمنحرفة، قال امير المؤمنين (ع) (ولا يحنّ بكم الغي فتضلوا عن سبيل الله باتباع أولئك الذين ضلوا وأضلوا)(٢٠) قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] خصوصاً التي تحمل عنوان الاسلام وتدّعي العمل به كالمجاميع الإرهابية واجندات التعصب والتكفير والعنصرية فان خطرها عظيم على الإسلام وينفر الناس من الشريعة الإلهية السمحاء، وقد اتخذ اعداء الإسلام هذا الاسلوب لمحاربة الاسلام ومحاصرته من خلال صناعة مثل هذه النسخ الضالة المنحرفة، وخلق ما يعرف بالإسلام فوبيا أي الخوف من الإسلام، من كتاب امير المؤمنين (ع) الى معاوية (لبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم)(٢١).

ان الأسوة الحسنة قد لا يحتاج إلى الكلام مع الناس ليصلحهم ويهديهم وإنما يؤثر فيهم بسلوكه وأخلاقه وقد حثّ الأئمة (ع) على ذلك بقولهم (كونوا لنا دعاة صامتين)(٢٢) و(كونوا لنا دعاة بأفعالكم لا بأقوالكم) وهكذا أثر أهل البيت (ع) في الأمة بحيث تكفي دقائق من اللقاء بهم أو الاطلاع على سيرتهم والاستماع إلى حديثهم لانقلاب العدو الحاقد إلى صديق حميم وهو يقول ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] تصديقا لقوله تعالى ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] والشواهد على ذلك كثيرة ومعروفة نذكر منها واحداً من حياة الامام الحسن العسكري (ع)، فقد روى الشيخ المفيد في الارشاد وصاحب اعلام الورى، انه (ع) قد سجن عند القائد التركي (علي بن اوتامش وكان شديد العداوة لآل محمد (ﷺ) غليظاً على آل أبي طالب وقيل له افعل به وافعل - أي شدّد عليه وعامله بقسوة - قال فما اقام الا يوماً واحداً حتى وضع خدّه له وكان لا يرفع بصره إليه اجلالاً واعظاماً وخرج من عنده وهو احسن الناس بصيرة وأحسنهم قولاً فيه)(٢٣) وقد عاتب العباسيون القائد التركي المتنفذ في الدولة صالح بن وصيف لعدم التضييق على الامام (ع) فقال لهم صالح (ما أصنع به وقد وكّلت به رجلين شر من قدرت عليه فقد صاروا من العبادة والصلاة إلى أمر عظيم، ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل فقالا له: ما نقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كله لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة فاذا نظر الينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا مالا نملكه من أنفسنا)(٢٤).

ان التأسي برسول الله (ﷺ) في حياته الشخصية والاجتماعية كفيل بإحداث نقلة إصلاحية عظيمة في حياة الأمة كالتي أحدثها هو (ﷺ) حين صنع من القبائل العربية المتخلفة الجاهلة المتناحرة المنحطة خلقياً أمة واحدة متماسكة حضارية قادت ما لا يقل عن نصف العالم المعروف آنذاك، وصنع من افراد المسلمين افذاذاً نادرين.

إن استيعاب السيرة الحسنة للنبي (ﷺ) وتمثّلها في حياتنا ليس فقط مسؤولية فردية لتحصيل القرب من الله تبارك وتعالى ونيل الكمالات وانما هي مسؤولية اجتماعية على الأمة أن تتحرك باتجاهها في ضوء التحديات الكثيرة التي تواجهنا ومنها:

١- تسافل العالم الى مستوى من الجاهلية انحطّ كثيراً عن الجاهليات السابقة(٢٥) وهو يلزمنا بانبعاث رسالي جديد في موازاتها.

٢- اننا مسؤولون عن التمهيد للدولة الكريمة المنتظرة وتعجيل الظهور الميمون، ومن متطلباته اقناع البشرية بالإسلام المحمدي الأصيل وهو المشروع الذي ينهض به الامام (ع) وأفضل وسيلة لتحصيل هذه القناعة هو تجسيد الأسوة الحسنة في حياتنا، وقد ورد عن الامام الرضا (ع) قوله (فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)(٢٦) وقد علّمنا الامام الحجة المنتظر (ع) في دعاء الافتتاح أن نقول (اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)(٢٧) وهذه مرتبة عظيمة لا تنال الا بالتأسي برسول الله (ﷺ) وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

٣- ان المسلمين اليوم ضائعون ممزقون متخلفون قد استمرؤا التبعية والعبودية لاعدائهم ومن يكيد لهم فهذا متخندق مع الغرب وذاك مع الشرق حتى تحالفوا مع اعدائهم ضد اخوانهم وأحد الأسباب المهمة في بلوغهم هذا الانحطاط فقدان الأسوة الحسنة فلابد من إيجادها ليعودوا إلى حياة العزة والكرامة والانعتاق من العبودية الا لله تبارك وتعالى.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٥ من كتابه الى عثمان بن حنيف (٢) ميزان الحكمة: ج ١ / ص ١٢٤ عن البحار: ٢٣ / ٣٠ / ٤٦. (٣) بحار الأنوار: ١٦ / ٢١٠، ٦٨ / ٣٨٢، ١٠٨ / ٢٢٢
(٤) بحار الأنوار: ج ٢٣ / ص ١٣٩ ح٨٥ (٥) ميزان الحكمة: ١ / ١١٦ عن امالي الصدوق: ٧٤ / ٤٢ (٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي حديد: ٦ / ٣٤٠
(٧) ميزان الحكمة: ١ / ١١٥ عن صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧٤ ح٢٤٠٨ (٨) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة رقم ١٩٢.
(٩) روي عن أمير المؤمنين (ع) قوله (كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله (ﷺ) فما يكون أحد أقرب الى العدو منه) (بحار الأنوار: ١٦ / ٢٣٢) (١٠) نور الثقلين: ٤ / ٥٣٥ ح ٣٨
(١١) نهج البلاغة: خطبة ١١٠ (١٢) نهج البلاغة: خطبة ١٦٠ (١٣) نور الثقلين: ٤ / ٥٣٥ ح ٣٩ (١٤) نهج البلاغة: ٣ / ٧٠ رقم ٤٥ من كتابه الى عثمان بن حنيف (١٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨
(١٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ٢٠١ ط دار الجيل (١٧) نهج البلاغة: ٢٥٠ الخطبة ١٧٥ (١٨) بحار الأنوار: ج ٢ / ص ٥٦ / ح ٣٣ (١٩) تحف العقول: ٣٦١ ط. مؤسسة الأعلمي
(٢٠) بحار الأنوار: ج ٩٤ / ص ١١٦ (٢١) نهج البلاغة: كتاب ١٧ (٢٢) مستدرك الوسائل: ١ / ١١٦ / ٨ / ٣١٠
(٢٣) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٠٧ ح ٤ عن الارشاد للمفيد: ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠ وإعلام الورى: ٢ / ١٥٠ (٢٤) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٠٨ ح ٥ عن الارشاد للمفيد: ٢ / ٣٣٤ وإعلام الورى: ٢ / ١٥٠-١٥١
(٢٥) راجع المقارنة بين الجاهليتين في ملحق (شكوى القرآن) في المجلد الثالث من هذا التفسير. (٢٦) عيون أخبار الرضا (ع): ١ / ٣٠٧، معاني الاخبار: ١٨٠ (٢٧) مفاتيح الجنان: دعاء الافتتاح

﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك:٢)
مقوّمات إحسان العمل (٢٨)

من علامات قدرة الله تبارك وتعالى وهيمنته وحكمته أنه ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وقدّرهما على بني البشر وفي الحديث الشريف عن الامام الباقر (ع) قال (الحياة والموت خلقان من خلق الله)(٢٩)، وقد جرت سنة الفناء في سائر المخلوقات كما في قول الامام الحسين (ع) (ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون)(٣٠).

ثم تبيّن الآية الغرض من اخراجكم الى هذه الدنيا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بتحميلكم بالأوامر والنواهي والترغيب والتخويف حتى تتميزوا وتتفاضلوا أيكم أحسن عملاً، وتظهر معادنكم وحقيقتكم، ليكافأ من أحسن بجنان الخلد ويحرم منها من اساء.

فلابد للإنسان أن يكون ملتفتاً للغرض الذي خُلق من أجله، وأن يستحضر هذه الحقيقة دائماً ويجعلها ماثلة أمامه ولا يجعل للغفلة طريقاً إليه ولا للأهواء والمغريات وأسباب الضلال والانحراف سلطة عليه ويكرّس حياته لأفضل حرث وهو أحسن العمل.

ويظهر من الآية ان الموت والحياة لهما مدخلية في هذا الاختبار اما الحياة فلانها ساحة العمل ووسيلة اكتساب الأعمال (الدنيا مزرعة الآخرة)(٣١) واما الموت فلان الاعتقاد به وبما بعده من البعث والنشور والحساب والجزاء يمثل أقوى باعث على العمل ولو لا الآخرة وطلب رضا الله تعالى لا يوجد حافز على الجهد والتضحية والبذل والعطاء والايثار والتمايز بهدف الوصول الى ما يستحقه من الجزاء.

والموت ليس فقط جزءاً من عملية الاختبار والابتلاء بل هو مظهر للحكمة وللرحمة أيضاً اذ لو لم يكتب الموت على الناس وبقيت الأجيال البشرية من لدن آدم (ع) إلى نهاية الدنيا كيف ستسعهم الأرض، وكذا الحيوانات في الأرض أو الماء فانها ستغطي كل الأرض والماء بعدة طبقات، فكان الموت سبباً لحفظ التوازن البيئي والبشري.

والموت يأتي بعد الحياة لأنه إعدام الحياة ولا يقال للعدم السابق على الحياة أنه موت، وروي في ذلك قول الامام الباقر (ع): (وخلق الحياة قبل الموت)(٣٢).

وإنما قدّم ذكر الموت على الحياة لوجوه محتملة:
١- لوجه بلاغي وهو ظاهر.
٢- لأن الحياة لا تعرف قيمتها الا بمقابلتها بالموت من باب الأمور تعرف بأضدادها، أو ان النعم لا تعرف الا اذا فقدت.
٣- لأن ظهور قدرة الله تعالى وعزّته وهيمنته وعظيم سلطانه تظهر بالموت أكثر من الحياة في أذهان البشر وورد في الدعاء (وقهر عباده بالموت والفناء)(٣٣).
٤- ان تأخير الحياة لأنها هي ساحة التسابق والاختبار وتحصيل احسن الأعمال فيناسبها أن تلتصق بقوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾.

ومن الواضح ان الآية تحدد ان الغرض المقصود من الاختبار والامتحان في هذه الدنيا هو الوصول الى حالة أحسن العمل، وان التفاضل بين الناس هو على أساس تقديم أحسن العمل، فبم يتحقق حسن العمل وما هي ضوابط ومعايير كونه أحسن العمل.

روى في مجمع البيان عن النبي (ﷺ) قوله في معنى ايكم أحسن عملاً قال: (أيكم أحسن عقلاً، ثم قال (ﷺ): أتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله عز وجل به ونهى عنه نظراً، وان كان أقلكم تطوعاً) فحسن العمل ليس بكثرة العبادات والطاعات وانما بنوعيتها وفي حديث آخر عنه (ﷺ) قال: (ايكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله)(٣٤) وروي عنه (ﷺ) قوله (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت)(٣٥).

في مجمع البيان عن النبي (ﷺ) قال: (ان الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما يجزى يوم القيامة الا على قدر عقله) وروى انس ابن مالك قال: (أثنى قوم على رجل عند رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ) كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال: ان الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وانما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالوا الزلفى من ربهم على قدر عقولهم)(٣٦).

روى الشيخ الكليني بسنده عن الامام الصادق (ع) في تفسير الآية قوله (ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة، ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد الا الله عز وجل والنية أفضل من العمل، الا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله عز وجل ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] يعني على نيته)(٣٧).

ويظهر من هذه الروايات: ان العمل لا يختص بأعمال الجوارح البدنية وإنما يشمل الأعمال القلبية أي ليس الظاهرية فقط والباطنية أيضاً بل لعلها الأهم.

ويظهر أيضاً ان من الاعمال ما هو حسن وأحسن منه كما أن منه ما هو سيء وأسوء، وان مقابل الأحسنين أعمالاً يوجد الأخسرون أعمالاً الذين ذكرتهم الآية الكريمة ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

ولا تخلو الآية الكريمة من إشارة الى ان الهدف من خلق الحياة والوجود هو تحصيل الأحسنين أعمالاً اما غيرهم فهم مخلوقون لأجلهم، وقد أثبتت الامتحانات التي مرّ بها النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) أنهم أحسن الخلق أعمالاً مما يصح ما دل من الروايات(٣٨) على ان الموجودات خلقت لأجلهم، لأن الغرض من الوجود تحقق بهن فيصح انهم خلق من أجلهم.

وهذا الاختبار خاص بالبشر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] وورد في الرواية الصحيحة عن ابي جعفر (ع): (لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب)(٣٩). اما الموجودات الأخرى فهي تسير بدقة في حركتها لتؤدي أحسن العمل المطلوب منها.

وتصرح الآيات الكريمة بان احسان العمل له آثار مباركة عظيمة في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وكفى بذلك شرفاً وفضلاً، وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] وقوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] وقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] وقوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧] وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقوله تعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤] وغيرها كثير.

وفي ضوء ما تقدم فان مقوّمات احسان العمل أمور:

١. ان يكون العمل حسناً محبوباً في نفسه ليصحّ التقرب إلى الله تعالى به إحسانه والا لا معنى للتقرب بفعل اذا كان قبيحاً اذا لا يصح أن يكون متعلق النذر واليمين أمراً مرجوحاً كمقاطعة الأرحام أو ظلم أحد حقه أو ترك واجب أو فعل محرم، ولا معنى للحديث عن تحسين فعل اذا لم يكن حسناً في نفسه فلا يصح إضفاء عناوين حسنة على أفعال مبتدعة من وضع الناس لم يثبت حسنها في ذاتها.

٢. اخلاص النية لله تبارك وتعالى وعدم شوبها بالرياء والعجب أو استهداف أغراض دنيوية كتحصيل الجاه والسمعة والثناء من الآخرين أو مكاسب مالية أو إرضاءً لأشخاص آخرين ففي الحديث المشهور (إنما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى)(٤٠) وفي وصيته (ﷺ) لأبي ذر (يا أبا ذر، ليكون لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل)(٤١) فالعاقل لا يجعل حركته تذهب هدراً فضلاً عن حبط اعماله روى عن الامام الصادق (ع) قوله (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله)(٤٢).

٣. ان يزيّن العمل بالورع والتقوى ليبلغ غايته، في الحديث (عن مفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فذكرنا الأعمال، فقلت أنا: ما أضعف عملي؟ فقال: مه استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامه، ويرفق جيرانه، ويوطئ رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه)(٤٣) وفي كلمة أمير المؤمنين (ع) (اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)(٤٤) وروي عن الامام الصادق (ع) قوله: (إذا أحسن المؤمن ضاعف الله عمله لكل حسنة سبعمائة فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله - الى ان قال - وكل عمل تعملونه لله فليكن نقياً من الدنس)(٤٥).

فمن علامات حسن العمل اقترانه بالتقوى وتنقيته من الشوائب التي تكدّرها، ومن كل ما يشين، ونذكر ضمن هذه النقطة الحديث الشريف عن الامام الكاظم (ع) قال (ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى)(٤٦) وهذا معنى يجري في كثير من القضايا كحسن التبعل مثلاً وغيره.

٤. دوام العمل بالمواظبة عليه ان كصلاة الليل او تلاوة القرآن او لم يمكن كالحج مثلاً فبإدامة حبّه وعقد العزم على الاتيان به اذا تيسرت ظروفه عن الامام الباقر (ع) قال (أحب الأعمال الى الله عز وجل ما دام العبد عليه وإن قل)(٤٧) وسنفصّل الكلام في هذه النقطة في الملحق الآتي إن شاء الله تعالى.

٥. الرفق في العمل وعدم الافراط في تحميل النفس الى حد التمرد ورفض الطاعة فقد روي عن الامام الصادق (ع) قوله (لا تكرهوا الى انفسكم العبادة)(٤٨) وقوله (ع) (اجتهدت في العبادة وأنا شاب فقال لي أبي: يا بني، دون ما اراك تصنع فان الله عز وجل اذا أحب عبداً رضي منه باليسير)(٤٩).

٦. المبادرة الى فعل الخيرات وتقدم الحديث الشريف في تفسير ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي (اسرع في طاعة الله) وروي عن الامام الصادق (ع) قوله (إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره، فإن الله عز وجل ربما اطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة، فيقول: وعزتي وجلالي، لا أعذبك بعدها أبداً، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنه ربما اطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية، فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً)(٥٠).

٧. التفقه في الدين ومعرفة كل ما يرتبط بالعمل من مقدمات وأجزاء وشرائط وما يسبب الخلل فيه لإتقانه والا فانه قد يأتي بما يفسد العمل من حيث لا يعلم، وتقدم في الحديث النبوي الشريف في تفسير ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال (ﷺ) (أحسنكم فيما أمر الله عز وجل به ونهى عنه نظراً).

٨. معرفة الأولويات وتقديم الأهم على المهم اذ قد يكون الفعل حسناً في نفسه الا انه ليس أحسن لأن الأولى ان يقوم بالطاعة الأخرى لأنها أهم عند تزاحم الطاعتين وكمثال اذكر الرواية التالية: (أتى رسول الله (ﷺ) رجلٌ فقال إني رجل شاب نشيط وأحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك. فقال له النبي (ﷺ) ارجع فكن مع والدتك فو الذي بعثني بالحق لأنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة)(٥١). فقدّم رسول الله (ﷺ) برّ الوالدين والإحسان اليهما على الجهاد الذي هو من أعظم الطاعات.

وفي الرواية الصحيحة عن هشام بن المثنى قال (سأل رجل أبا عبدالله (ع) عن قول الله عز وجل ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] فقال: كان فلان بن فلان الأنصاري - سماه - وكان له حرث فكان اذا أخذ يتصدق به فيبقى هو وعياله بغير شيء، فجعل الله عز وجل ذلك سرفاً)(٥٢)

التتمة في الصفحة الرابعة

، فعندما تؤثر الصدقة على نفقة العيال والتوسعة عليهم لا تكون أحسن.

٩. وعي حقيقة العمل واتيانه عن بصيرة والتفات للأغراض الحقيقية منه فيعرف ان الغرض من الصلاة ادامة ذكر الله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] والانتهاء عن الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] كما في الحديث النبوي الشريف (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً)(٥٣).

وان الصوم لتقوية الإرادة والقدرة على الامتناع عن كل ما يسخط الله تعالى ولمواساة الفقراء والمحرومين والالتفات الى هذه الحالات في المجتمع ونحو ذلك.

ومن الشواهد الجليلة في هذا المجال موعظة الامام السجاد (ع) للشبلي في بيان الاسرار المعنوية للحج وهي مطولة تجدها في كتاب مناسك الحج، منها قوله (ع) له: "حججت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال (ع): "أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟ قال: نعم، قال: "فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا، قال: "فحين تجردت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا، قال: "فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال: "فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت"(٥٤) أي لم تحقق الغرض المطلوب من هذه المناسك.

١٠. ومن تمام إحسان العمل نشره وحثّ الآخرين عليه، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] والنعمة هنا لا تقتصر على النعم المادية كالأموال والبنين والجاه الاجتماعي وإنما تشمل النعم المعنوية وهي عموم(٥٥) الطاعات وأولها نعمة الإسلام والايمان، لذا فسّرتها بعض الروايات بولاية أهل البيت (ع) لأنها أكمل مصاديقها وقد أمرت الآية بالتحديث بها وذلك بأن يدعو الناس اليها، لذا عدت الأحاديث الشريفة بمضاعفة الثواب لمن ينشر الطاعة ويؤسس لها كحالة اجتماعية عامة ومنها الحديث النبوي المشهور (من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينتقص من أجورهم شيء)(٥٦).

وورد في الروايات استحباب تحسين العبادة ليُقتدى بها الفاعل والترغيب في اتباع الحق فقد روى عبيد بن زرارة قال (قلت لأبي عبدالله (ع) الرجل يدخل في الصلاة فيجوّد صلاته ويحسنها رجاء أن يستجرّ - أي يجتذب - بعض من يراه إلى هواه، قال (ع): ليس هذا من الرياء)(٥٧).

لهذا كله دلت الأحاديث الشريفة على ان الثواب الذي يعطى للعالم العارف البصير على عمل قليل اضعاف ما يعطى العابد غير العارف بهذه الحقائق على العمل الكثير.

وقد حثت الأحاديث الشريفة على الاحسان في كل شيء حتى على مستوى اختيار الاسم فجعلت من حقوق الولد على أبيه ان يحسن تسميته(٥٨) اما الاحسان الى الآخرين فقد وردت فيه روايات لا تحصى كثرة وفي القرآن الكريم ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] ويتبيّن أن من الثمرات المعجلة للإحسان الى الآخرين إحسان اليك ومن وصايا أمير المؤمنين (ع) الى نوف البكالي (أحسن يُحسن اليك)(٥٩).

وقد اختصر أمير المؤمنين (ع) الكلام في الاحسان بان جعل قيمة كل انسان بمقدار ما يحسنه من اعمال وصفات وملكات وبمقدار ما يُحسن للآخرين فقال (ع) (قيمة كل امرئ ما يحسنه)(٦٠) وهي كلمة مقتبسة من نور الآية الكريمة التي نحن بصددها ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ان نتيجة الامتحان تعطي قيمة اكبر لمن كان اكثر احساناً في عمله وقد قلت في بعض احاديثي السابقة انه قد خطر على ذهني ذات مرة وأنا في الحضرة العلوية الشريفة هذا المعنى للحديث الشريف: (قيمة كل امرئ ما يحسنه)، أي أن درجته عند الله تبارك وتعالى تكون بمقدار ما يحمل من الصفات الحسنى لله تبارك وتعالى، فكلما ازدادت رحمته كان أقرب إلى الله، لأن الرحيم من الأسماء الحسنى، وكلما ازداد عفوه كان أقرب إليه، لأن العفو من الأسماء الحسنى، وهكذا كلما ازداد كرمه وحلمه وعلمه وحكمته وصبره على أن تكون هذه الصفات ذاتية له وراسخة فيه وليست طارئة عليه ولا تصدر منه بتكلف(٦١) وهو على أي حال تطبيق لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].

ان المطلوب منّا أن نتقدم خطوة أخرى بعد إحسان العمل وهي مكافأة المحسن على إحسانه فإنه من الإحسان لتشجيع الناس على الأعمال الحسنة وقد ضرب لنا الأئمة المعصومون (ع) أروع الأمثلة لهذا السلوك، روى الخطيب البغدادي في كتابه المعروف (تاريخ بغداد): عن الإمام الحسن بن علي (ع) انه كان ماراً في حيطان (أي بساتين) المدينة فرأى عبداً أسود بيده رغيف يأكل ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره طعامه في الرغيف)، ومثل الامام الحسن (ع) في منزلته الاجتماعية لا يهتم بعبد أسود معه كلب يأكل، لكن الامام الحسن (عليه السلام) توقف عنده (فقال له الإمام الحسن (ع) ما حملك على ما عملت وشاطرته؟ فقال الغلام: استحيت عيناي من عينه). وفي رواية أخرى أنه قال: أشعر بضيق في صدري وكآبة فأردت أن أدخل السرور على هذا الكلب لعل الله تعالى يرفع عني هذا الهم بذلك (فقال الإمام (ع)): غلام من أنت؟ أي سأله عن مالكه (فقال: غلام أبان بن عثمان، فقال، والحائط؟ فقال: لأبان بن عثمان. فقال له الإمام الحسن (ع) أقسمتُ عليك لا برحت حتى أعود عليك. فمّر على صاحب الحائط فاشترى الحائط والغلام معاً، وجاء إلى الغلام، فقال (ع) يا غلام قد اشتريتك فقام الغلام قائماً) أي قام ليذهب مع مالكه الجديد وهو الامام الحسن (ع) (وقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال (ع): وقد اشتريت الحائط، وأنت حرّ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك. فقال الغلام: (يا مولاي قد وهبتَ الحائط للذي وهبتني له)(٦٢).

أقول: لقد تعلّم الغلام هذا الأدب من الإمام الحسن (ع) نفسه، فقد روى أحدهم قال: (رأيت الحسن بن علي (ع) يأكل وبين يديه كلب، كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا بن رسول الله، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال: دعه: إني لأستحيي من الله عز وجل أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا أكل ثم لا أطعمه)(٦٣).

وهذه هي سيرة أهل البيت (ع) فانهم لا يكتفون بفعل المعروف والإحسان الى الآخرين بل كانوا يكافئون من يقوم بفعل حسن ويكرّمونه بأضعاف ما قام به ليشجعوا على نشر المعروف وتحويله الى ظاهرة وثقافة عامة لدى المجتمع.

وعلى اتباع أهل البيت (ع) التأسي بهذه الاخلاق الكريمة بأن يحسنوا في أعمالهم في سائر المواقع والمسؤوليات التي هم فيها.

فالطالب يبذل وسعه في المطالعة والمذاكرة حتى يحقق نتائج راقية يدخل بها السرور على أهله ومحبيه ويكون فخراً وعزاً وطاقة هائلة لوطنه وشعبه.

والموظف يتقن عمله ويؤدي واجبه في كل الوقت المطلوب منه ولا يقصّر في خدمة الناس واستيعابهم.

والمدرّس يبذل وسعه في تعليم الطلبة والارتقاء بمستواهم العلمي ومساعدتهم في كل ما يحتاجون.

والمهندس يراعي شروط المتانة والامان والجدوى عند تنفيذ المشاريع ويكون أميناً ونزيهاً، وهكذا.

هذا على مستوى احسان العمل، ويبقى علينا ان نتقدم خطوة أخرى بتشجيع المحسنين في أعمالهم ومكافأتهم، فالامام الحسن (ع) مع هيبته وجلاله وسمو مقامه في المجتمع بحيث اذا جلس على الطريق انقطع المارّة وتهيّبوا المرور بين يديه، واذا مشى لم يبق أحدٌ راكباً ومع ذلك تراه توقف عند العبد ولم يمرّ على هذا الموقف دون تكريم، اما الذين يثبّطون العاملين ويستهزئون بهمتهم وحركتهم الدائبة فهؤلاء لم يستفيدوا من سيرة أهل البيت (ع) ولم يتأسوا بهم.

ويكفي المحسنين في عملهم وساماً يفتخرون به: محبة الله تعالى لهم ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

(٢٨) كلمة لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) القيت يوم الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤٤٢ الموافق ١٣/ ١١/ ٢٠٢٠ (٢٩) الكافي: ٣/ ٢٥٩ ح ٣٤ (٣٠) الارشاد: ج٢/ ص ٩٤
(٣١) عوالي اللئالي: ١ / ٢٦٧ / ٦٦ (٣٢) الكافي: ٨ / ١٤٥ (٣٣) بحار الأنوار: ٨٤ / ٣٣٩، مفاتيح الجنان: دعاء الصباح لأمير المؤمنين (ع) (٣٤) تفسير نور الثقلين: ٥ / ٣٧٠ ح ١٢،١٣
(٣٥) كنز العمال: ٣ / ١٦ ح ٥٢٥٤ (٣٦) تفسير نور الثقلين: ٥ / ٣٧١ ح ٢٠، ٢١ (٣٧) أصول الكافي: ٢ / ١٣ ح ٤
(٣٨) العلل، والعيون، والإكمال، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ﷺ): ما خلق الله عز وجل خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني - إلى أن قال: - يا علي، لولا نحن ما خلق آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض - الخبر
قال الشيخ المفيد (رحمه الله) في المسائل السروية: والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات: بأن آدم (ع) رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: " أنها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم " وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضاً . . . (المسائل السروية: الجزء : ١ ، صفحة : ٣٩)
(٣٩) وسائل الشيعة: ١ / ٣٩ باب ٣ ح١ (٤٠) وسائل الشيعة: ١ / ٤٩، أبواب مقدمة العبادات، باب ٥ ح ١٠ (٤١) وسائل الشيعة: ١/ ٤٨ باب ٥ ح ٧/٨ (٤٢) وسائل الشيعة: ١/ ١٠٠ باب ٢٣ ح ٦
(٤٣) بحار الأنوار: ج ٦٧ / ص ١٠٤ (٤٤) بحار الأنوار: ج ٤٠ / ص ٣٤٠ (٤٥) الوسائل: ١ / ٦١ باب ٨ ح ٣ (٤٦) تحف العقول: ٤٠٩، الكافي: ٢ / ٦٦٧ ح ٩ (٤٧) الوسائل: ١ / ٩٤ باب ٢١ ح ٥
(٤٨، ٤٩) وسائل الشيعة: ١ / ١٠٨ باب ٢٦ ح ٢ ح ١ (٥٠) وسائل الشيعة: ١ / ١١٢ ح ٦ (٥١) الكافي: ٢ / ١٦٠ (٥٢) وسائل الشيعة: ٩ / ٤٦، أبواب الصدقة، باب ٤٢ ح ٣.
(٥٣) ميزان الحكمة: ٩ / ١٠٥ ح ١٠٧٠٥ (٥٤) وسائل الشيعة: ١٠ / ١٦٦ - ١٧٢ (٥٥) راجع هذا القبس في المجلد الخامس من التفسير. (٥٦) الكافي: ٥ / ٩ (٥٧) وسائل الشيعة: ١ / ٧٦ باب ١٦ ح ٣.
(٥٨) وسائل الشيعة: ١٥ / ١٢٢ احكام الأولاد / باب استحباب تسمية الولد باسم حسن، وتغيير اسمه إن كان غير حسن ٢٢ (٥٩) بحار الأنوار: ٧٧ / ٣٨٥ عن امالي الصدوق: ١٧٤ المجلس ٣٧ ح ٩
(٦٠) نهج البلاغة: ج ٤، قصار الكلمات، ٨١، عيون أخبار الرضا: ٢ / ٥٣، الامالي: ٣٦٢ المجلس ١٦٨ ح ٩ (٦١) خطاب المرحلة: ٢ / ١٠٤ (٦٢) تاريخ بغداد: ٦ / ٣٤
(٦٣) بحار الأنوار: ٤٣ / ٣٥٢ ح٢٩ عن مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ١٠٢-١٠٣.